

أثر الكناية في استنباط الأحكام " أحكام ابن العربي نموذجاً "

the impact of the metaphor

حاج اسباغو 1 *

¹المركز الجامعي عين تيموشنت. hadjsbaghou31@gmail.com

تاريخ الارسال: 2018 /07/08 تاريخ القبول: 2019/01/19 تاريخ النشر: 2019/12/30

الملخص :

تعتبر كتب أحكام القرآن من المدونات التي تزخر بمادة دلالية خصبة، لأن الاستنباط يتوقف على فهم المعنى، كما يتوقف على مراعاة جوانب أخرى اشترطها العلماء في المفسر والمستنبط للأحكام من كتاب الله.

وكتاب ابن العربي في أحكام القرآن، واحد من تلك المدونات التي يتجلى للمطلع عليه، أثر اللغة في الاستنباط، بمختلف جوانبها نحوها وصرفها وصوتها وبلاغتها .

وهذا المقال يحاول أن يسلط الضوء على أثر الكناية في الاستنباط، بوقفة متأنية مع كتاب أحكام القرآن لابن العربي الإشبيلي، ليتجلى لنا من خلاله موقفه من المجاز، ومن بعض المسائل الدلالية .

الكلمات المفتاحية: الكناية -استنباط الأحكام-الدلالة-المجاز

Summary:

The books of the provisions of the Koran from the blogs, which are rich in material fertile, because the development depends on the understanding of the meaning, and depends on the observance of other aspects required by scientists in the interpreter and drawn to the provisions of the Book of God.

Ibn al-Arabi's book in the provisions of the Koran, one of those blogs that is revealed to the person familiar with it, the impact of language in the development, in various aspects of it and the exchange and voice and rhetoric.

This article attempts to shed light on the impact of the metaphor in the development, with a careful pause with the book of the provisions of the Koran to the son of the Arab Ashbili, to show us his position on the metaphor, and some semantic issues.

*المؤلف المرسل

أثر الكناية في استنباط الأحكام " أحكام ابن العربي نموذجاً "

Keywords: impact, metonymy, deduction, provisions of the Qur'an, Ibn al-Arabi

تمهيد:

تُعَدُّ الكناية من محاسن الكلام والشعر عند العرب، وتعتبر مظهراً بلاغياً راقياً يُبَيِّنُ عن ذوقهم الأدبي وبيانهم الرفيع، ولهذا اعتبرها بعضهم أبلغ من التصريح، وأطبق أفاضل علماء البيان على أنها أبلغ من الإفصاح، لأن الشاعر أو المبدع عندما يُغَطِّيَانِ المعنى الحقيقي بهذا الستار الشفاف، يدعوان المتلقي إلى اكتشاف هذا المعنى المتواري وراء المعنى المجازي، فيشعر بلذة الكشف عنه وتفكيك عناصره تمهيداً للوصول إلى المعنى المقصود.

تعريفها:

الكناية في اللغة:

ذكر ابن فارس أن الكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره، يقال: كَتَيْتَ عن كذا، إذا تكلمت بغيره مما يُسْتَدَلُّ به عليه، وكنوت أيضاً¹. وفي اللسان: (الكناية؛ أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكَتَى عن الأمر بغيره يُكْنَى كِنَايَةً: يعني إذا تكلم بغيره مما يُسْتَدَلُّ عليه نحو الرفث والغائط)². وعَرَفَهَا أهل البيان: (بأنها لفظ أريد به لازم معناه)³.

فالكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ؛ كقولك: "قلان طويل النجاد"؛ أي: طويل القامة، و"قلانة نئوم الضحى"؛ أي: مرقّعة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات⁴.

¹-ينظر: مقاييس اللغة 139/5.

²-لسان العرب 15/233.

³-بغية الإيضاح 3/538.

⁴-ينظر: بغية الإيضاح 3/538.

حاج اسباغو

وأما علماء أصول الفقه فإنهم قالوا في حد الكناية: اسم لما استتر فيه مراد المتكلم من حيث اللفظ⁵.

وأشير هنا إلى أن ابن الأثير، نقل عن الأصوليين حدّهم للكناية؛ بأنها اللفظ المحتمل، ووسمه بالفاسد، معللا ذلك، بأنه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية⁶، وهذا التعريف وإن كان كما قال صاحب الطراز: (وإن لم يُعرف قائله فهو مُصدّق فيما نقله)⁷؛ أي يعني ابن الأثير، لكن تبقى إطلاق نسبته هكذا إلى الأصوليين بحاجة إلى بيّنة.

وذكر ابن الأثير للكناية حدّا جامعاً: أنها كل لفظة دلّت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز⁸، وهذا التعريف ذكره صاحب الطراز من بين أقوى خمسة تعاريف في حد الكناية، واختار أن يقال في حدها: "هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين، حقيقة ومجاز من غير واسطة، لا على جهة التصريح"⁹.

وتعد الكناية عند أكثر علماء البيان من أنواع المجاز خلافاً لابن الخطيب الرازي¹⁰، قال السيوطي: (وأنكر وقوعها في القرآن من أنكر المجاز فيه بناء على أنها مجاز)¹¹. أسباب الكناية:

ذكر كل من الزركشي¹²، والسيوطي¹³ لها ستة أسباب، اتفقا في أربع، واختص كل منهما عن الآخر باثنين أوجزها في الآتي:

أحدها: التنبيه على عظم القدرة.

⁵-ينظر: أصول الشاشي ص67، وكشف الأسرار 66/1، والبحر المحيط 134/3.

⁶- ينظر: المثل السائر 2/ 181.

⁷-الطراز 188/1.

⁸- المثل السائر 2/182.

⁹-الطراز 179/1.

¹⁰-ينظر: المرجع نفسه 190/1.

¹¹-الإتقان 3/159.

¹²-ينظر البرهان 301/2 وما بعدها.

¹³-ينظر: الإتقان 3/159 وما بعدها، ومعتك الأقران 216/1 وما بعدها.

أثر الكناية في استنباط الأحكام " أحكام ابن العربي نموذجاً "

نحو قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)¹⁴، كناية عن آدم.

وثانيها: ترك اللفظ إلى ما هو أجلّ، نحو قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ)¹⁵، فكُنَى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب في ذلك، لأن ترك التصريح بذكر المرأة أجلّ منه، ولهذا لم تذكر في القرآن امرأة باسمها إلا مريم¹⁶.

ثالثها: أن يكون الصريح مما يستقبح ذكره، ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة، والإفضاء والرّفث، والدخول، والسر، ففي قوله تعالى: (وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا)¹⁷، كُنَى بالسر عن الجماع، قال الزركشي: (وفيه لطيفة أخرى لأنه يكون من الآدميين في السر غالباً ولا يُسرّه - ما عدا الآدميين - إلا الغراب فإنه يُسرّه، ويُحكى أن بعض الأدباء أسرّ إلى أبي علي الحاتمي كلاماً فقال: ليكن عندك أخفى من سِفاد الغراب ومن الرأ في كلام الألتغ فقال: نعم يا سيدنا ومن ليلة القدر وعلم الغيب)¹⁸.

رابعها: قصد البلاغة والمبالغة نحو: { أَوْ مِنْ يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ }¹⁹، كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين الشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني ولو أتى بلفظ "النساء" لم يشعر بذلك والمراد نفي ذلك عن الملائكة .

فهذه الأسباب الأربعة يتفقان فيها، وزاد الزركشي اثنين اتماماً للسته عنده وهما:

خامسها: فطنة المخاطب كقوله تعالى في قصة داود: { خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ }²⁰، فكُنَى داود بخصم على لسان ملكين تعريضاً، وقوله في قصة النبي صلى الله عليه وسلم وزيد: { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ }²¹ ؛ أي: زيد²².

¹⁴-سورة الأعراف، الآية:179

¹⁵-سورة ص، الآية:23 .

¹⁶--- الإنتقان 159/1، ومعتزك الأقران 216/1 .

¹⁷-سورة البقرة، الآية:235 .

¹⁸-البرهان 302/2 .

¹⁹-سورة الزخرف، الآية:18 .

²⁰-سورة ص، الآية:22 .

²¹-سورة الأحزاب، الآية:40 .

²²-ينظر: البرهان 302/2 .

حاج اسباغو

وسادسها: تحسين اللفظ كقوله تعالى: {يَبِضُّ مَكْنُونٌ} فإن العرب كانت عادتهم الكناية عن حرائر النساء بالبيض، قال امرؤ القيس:

وَبِضَّةُ خَذِرٍ لَا يَزَامُ خَبَاؤُهَا *** تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ²³

وأما السببان المتممان للأسباب الستة عند السيوطي فهما:

خامسها: قصد الاختصار كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ "فعل" نحو قوله: {لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}²⁴.

وقوله: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا}²⁵؛ أي فإن لم تأتوا بسورة من مثله²⁶.

سادسها: التنبيه على مصيره نحو قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}²⁷، أي جهنمي مصيره إلى اللهب، وقوله تعالى: {حَمَلَةُ الْحَطْبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ}²⁸؛ أي ناماة مصيرها إلى أن تكون حطبا لجهنم، في جيدها غل²⁹.

نماذج لأثر الكناية من أحكام القرآن لابن العربي:

أولاً- عند قوله تعالى: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ}³⁰.

قال ابن العربي: "معناه فجيئوهن، أو يكون ذلك كناية عن الوطء، كما كنى عنه بالملامسة في قول ابن عباس: "إن الله حيي كريم يعفو ويكفي، كنى باللمس عن الجماع³¹".

هذه الآية جاءت في سياق الجواب عن سؤال قرب النساء حالة الحيض، فنهى سبحانه وتعالى عن قربهن، وجوز اتيانهن بعد الطهر، مكنيا عن الجماع بالإتيان، والسبب كون التصريح مما يستقبح، كما سبق في السبب الثالث.

²³-المرجع نفسه 307/2.

²⁴-سورة المائدة، الآية: 79.

²⁵-سورة البقرة، الآية: 24.

²⁶-الإتيان 161/3، ومعتك الأقران 218/1 بتصرف.

²⁷-سورة المسد، الآية: 1.

²⁸-سورة المسد، الآية: 4-5.

²⁹-ينظر: الإتيان 161/3، ومعتك الأقران 218/1.

³⁰-سورة البقرة، الآية: 222.

³¹-أحكام القرآن 235/1.

أثر الكناية في استنباط الأحكام " أحكام ابن العربي نموذجاً "

قال الزمخشري: "(فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)" ³²، من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدّبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم ³³.

قال ابن العربي رحمه الله: "فإن قيل: الآية حجة عليكم؛ لأنه لو خلا وقبل ولمس قلتم لا يتقرر المهر. قلنا: المسيس هاهنا كناية عن الوطء بإجماع؛ لأن عندكم أنه لو خلا ولم يلمس ولا قبل يتقرر المهر، ولم يوجد هنا مس ولا وطء؛ وهذا خلاف الآية ومراغمة الظاهر" ³⁴.

وقال في موضع آخر: "حقيقة اللمس إلصاق الجارحة بالشيء، وهو عُرف في اليد؛ لأنها آلتها الغالبة؛ وقد يستعمل كناية عن الجماع" ³⁵.

وقال أبو السعود: "وكذلك إيثَارُ الكناية فيما عُطِفَ عليه من قوله عزَّ وجلَّ {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} ³⁶ على التصريح بالجماع" ³⁷.

وهذا دأب القرآن كما ذكر الصابوني، فلا تكاد تجد فيه كلمة نابية أو قبيحة، وردت بلفظها الحقيقي، دون أن تذكر بلفظ الكناية خاصة ما يتعلق بالعلاقات الجنسية ³⁸.

ثانياً- عند قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} ³⁹.

قال ابن العربي "كناية عن استجابة في البيع وقبضه باليد؛ لأن ذلك إنما يفعله المربي قصدا لما يأكله، فعبر بالأكل عنه" ⁴⁰.

ثالثاً- عند قوله تعالى {وَشِيبَاكَ فَطْهَرْ} ⁴¹.

³²-سورة البقرة، الآية: 223 .

³³-الكشاف/1/ 266 .

³⁴-أحكام القرآن/1/ 292

³⁵-المصدر نفسه/1/ 564 .

³⁶-سورة النساء، الآية: 43 .

³⁷-إرشاد العقل السليم/2/ 180

³⁸-ينظر: الإبداع البياني ص 23 .

³⁹-سورة البقرة، الآية: 275 .

⁴⁰-المصدر نفسه/1/ 320.

⁴¹-سورة المدثر، الآية: 4.

حاج اسباغو

قال ابن العربي: " فأمره الله بطهارة ثيابه حتى إن أنته العباداة وجدته على حالة مهياة لأدائها، وقد قال قوم: إن الثياب كناية، وذلك دعوى لا يُلتفت إليها"⁴² .

اكتفى ابن العربي بذكر قولين فقط في تأويل هذه الآية، واستبعد الثاني ووسمه بأنه دعوى لا يلتفت لها،

وكيف يكون القول بالكناية دعوى، وهو منقول عن السلف مسندا، وتأويلا للآية، وله أدلة من كلام العرب، وإليك شيء من بيان ذلك .

ذكر الماوردي لهذه الآية خمسة تأويلات:

أحدها: أن المراد بالثياب العمل.

الثاني: القلب.

الثالث: النفس.

الرابع: النساء والزوجات.

الخامس: الثياب الملبوسات على الظاهر⁴³ .

وزاد القرطبي ثلاثة أقوال فيها زيادة على ماسبق، وهي؛ الخلق والدين والجسم⁴⁴ ؛ أي المراد من الثياب .

وما القول الأول وتاليه إلا من باب الكناية، ولهذا ذكر الماوردي أن من ذهب إلى أن المراد بالثياب النفس، كنى عنها بالثياب لأنها لابسة الثياب، ونقل في تأويل الآية على ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه ونفسك فطهر مما نسبك إليه المشركون من شعر أو سحر أو كهانة أو جنون .

الثاني : ونفسك فطهرها مما كنت تشكو منه وتحذر .

الثالث: ونفسك فطهرها من الخطايا⁴⁵ .

⁴² -أحكام القرآن 586/2 .

⁴³ -ينظر: النكت والعيون 135/6-136 .

⁴⁴ -ينظر: تفسير القرطبي 62/19 .

⁴⁵ -ينظر: المصدر نفسه 136/6 .

أثر الكناية في استنباط الأحكام " أحكام ابن العربي نموذجاً "

ومن ذهب إلى القول الثاني قال: إن تأويل الآية وقلبك فطهر، قاله ابن عباس وسعيد بن جببر، دليله قول امرئ القيس:

وإن تك قد ساءتك مني خليفة *** فسلي ثيابي من ثيابك تتسل؛ أي قلبي من قلبك⁴⁶.

وعلى هذا القول الثاني ذكر الماوردي: في تأويل الآية وجهين:

أحدهما - معناه وقلبك فطهر من الإثم والمعاصي، ونسبه لابن عباس وقتادة.

الثاني - وقلبك فطهر من الغدر؛ أي لاتغدر فتكون دنس الثياب، وذكر بأنه مروي عن ابن عباس، واستشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفي:

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر *** لبست ولا من غدره أتقنع⁴⁷.

بل إن الإمام الطبري الذي يعتبر تفسيره من المصادر التي أشاد بها الإمام ابن العربي، واعتمدها في الأحكام، ذكر جلّ هذه الأقوال مسندة لابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة⁴⁸.

رابعاً - عند قوله: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ}⁴⁹.

قال الإمام ابن العربي رحمه الله: (وقد روى ابن القاسم عن مالك: الأيام المعلومات أيام النحر؛ يوم النحر ويومان بعده، وقال: هو النهار دون الليل، ومثله روى أشهب وابن عبد الحكم عن مالك، وثبت يقيناً أن المراد بذكر اسم الله هاهنا الكناية عن النحر؛ لأنه شرطه⁵⁰).

فهو مع من يرى أن ذكر اسم الله في الآية كناية عن النحر، وهذا ما ذهب له الزمخشري وابن عطية، قال الزمخشري: (وكنتى عن النحر والذبح بذكر اسم الله، لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحرُوا أو ذبحوا)⁵¹.

⁴⁶- ينظر: النكت والعيون 136/6.

⁴⁷- ينظر: النكت والعيون 136/6، وتفسير القرطبي 63/19.

⁴⁸- ينظر: تفسير الطبري 23/9 وما بعدها.

⁴⁹- سورة الحج، الآية: 28.

⁵⁰- أحكام القرآن 283/3.

⁵¹- الكشف 153/3.

حاج اسباغو

وقال البيضاوي: (وقيل كُنِيَ بالذکر عن النحر لأن ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيهاً على أنه المقصود مما يتقرب به إلى الله تعالى)⁵² .

وذكر ابن عطية أنه مذهب مالك وأصحاب الرأي، فقال: (وذهب قوم إلى أن المراد ذكر اسم الله تعالى على النحر والذبح، وقالوا إن في ذكر " الأيام " دليلاً على أن الذبح في الليل لا يجوز، وهو مذهب مالك وأصحاب الرأي)⁵³ .

وقد ذكر ابن العربي سبب الكناية هنا في الآية، أن الذِّكْر شرط في صحة الذبيحة، وإن كان لا ذكر لهذا في أسباب الكناية التي ذكرها علماء علوم القرآن، فإن ما ذكره الزمخشري أقرب، ويوافق السبب السادس من أسباب الكناية التي سبق ذكرها، يقول الزمخشري: (وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه، وقد حسن الكلام تحسيناً بينا: أن جمع بين قوله لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وقوله: عَلَى مَا رَزَقَهُمْ ولو قيل: لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام، لم تر شيئاً من ذلك الحسن والروعة)⁵⁴ .

خامساً-قوله تعالى: { فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً }⁵⁵ .

قال ابن العربي: (يعني انحروها، كما تقدم أن ذكر الله اسم صار كناية عن النحر والذبح، لما بينا من أنه شرط فيه وأصل معه)⁵⁶ .

هذه الآية أيضاً ذكر ابن العربي، أن ذكر اسم الله فيها كناية عن النحر، وهذا مما انفرد به ابن العربي هنا ، وإن كان المفسرون حملوا الذكر على حقيقته في الآية، قال الزمخشري: (وذكر اسم الله: أن يقول عند النحر: الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، اللهم منك وإليك)⁵⁷ .

⁵²-أنوار التنزيل 70/4.

⁵³-المحرر الوجيز 118/4.

⁵⁴-المرجع السابق 153/3 .

⁵⁵- سورة الحج، الآية: 36 .

⁵⁶-المرجع السابق 292/3 .

⁵⁷-الكشاف 158/3.

أثر الكناية في استنباط الأحكام " أحكام ابن العربي نموذجاً "

وقال أبوحيان: (وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، اللهم منك وإليك)⁵⁸ .

وقد صرح الفخر الرازي بما ذهب إليه المفسرون، فقال: (أما قوله: " فاذكروا اسم الله عليها"، ففيه حذف؛ أي اذكروا اسم الله على نحرها، قال المفسرون هو أن يقال عند النحر أو الذبح بسم الله والله أكبر اللهم منك وإليك)⁵⁹ .

سادساً- {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}⁶⁰ .

قال ابن العربي: (المضاجع جمع مَضَجَ، وهي مواضع النوم، ويحتمل وقت الاضطجاع، ولكنه مجاز والحقيقة أولى، وذلك كناية عن السهر في طاعة الله تعالى)⁶¹ .

وجملة ما ذكر المفسرون للتجافي من معان هي: التباعد والارتفاع والتتحي والمشاركة، وأما المضاجع فهي : الفرش جمع مَضَجَ، وهو مكان الضجع⁶² .

والمعنى: أنهم: يكثرّون السهر بقيام الليل والدعاء لله؛ أي أن نومهم قليل، وسهرهم طويل؛ لانقطاعهم إلى الله تعالى، وحرصهم على عبادته.

قال ابن عطية: (وقال الجمهور من المفسرين: أراد بهذا التجافي صلاة النوافل بالليل، قال الفقيه الإمام القاضي: وعلى هذا التأويل أكثر الناس، وهو الذي فيه المدح، وفيه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر قيام الليل ثم يستشهد بالآية)⁶³ .

سابعاً- {وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِمَا نِ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أُيُودِهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ}⁶⁴ .

قال ابن العربي: (فيه ثلاثة أقوال:

⁵⁸-المحرر الوجيز 7/ 509 .

⁵⁹-مفاتيح الغيب 23/ 226 .

⁶⁰-سورة السجدة، الآية: 16 .

⁶¹-المصدر نفسه 3/ 532 .

⁶²-ينظر: تفسير الكشاف 3/ 511، وتفسير ابن عطية 4/ 362، واللباب 15/ 485، والتحرير

والتنوير 12/ 229.

⁶³-المحرر الوجيز 4/ 362 .

⁶⁴-سورة الممتحنة، الآية: 12 .

حاج اسباغو

الأول: الكذب في انقضاء العدة

الثاني: هو إلحاق ولد بمن لم يكن له.

الثالث: أنه كناية عما بين البطن والفرج⁶⁵ .

قال الشيخ ابن عاشور: (وقوله: بين" أيديهن وأرجلهن" يتعلق ب يأتين، وهذا من الكلام الجامع لمعان كثيرة باختلاف محامله من حقيقة ومجاز وكناية، فالبهتان حقيقته: الإخبار بالكذب وهو مصدر. ويطلق المصدر على اسم المفعول كالخلق بمعنى المخلوق⁶⁶).

ونذكر بأن حمل الآية على حقيقة البهتان بين الأيدي والأرجل: وهو الخبر الكاذب، يعني أنه كذب مواجهة كقولها: يا فلانة زنييت مع فلان، أو أنت بنت زنا، لتهتتها في ملاء من الناس، وإن كان البهتان بمعنى المكذوب كان معنى الافتراء بين أيديهن وأرجلهن كناية عن ادعاء الحمل بأن تشرب ما ينفخ بطنها فتوهم زوجها أنها حامل ثم تظهر الطلق وتأتي بولد تلتقطه وتنسبه إلى زوجها لئلا يطلقها، أو لئلا يرثه عصبته، فالافتراء هو ادعاؤها ذلك تأكيداً لمعنى البهتان، وإن كان البهتان مستعاراً للباطل الشبيه بالخبر البهتان، كان بين أيديهن وأرجلهن محتملاً للكناية عن تمكين المرأة نفسها من غير زوجها يقبلها أو يحبسها⁶⁷.

قال أبو السعود: (كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني عنه بالبهتان المفترى بين يديها وأرجلها لأن بطنها الذي تحمل فيه بين يديها ومخرجها بين رجليها)⁶⁸.

ثامناً- قوله تعالى: {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا}⁶⁹ .

⁶⁵-المصدر نفسه 2/4 .

⁶⁶-التحرير والتنوير 166/28-167.

⁶⁷-نفسه 166/28-167 .

⁶⁸-إرشاد العقل السليم 8/240.

⁶⁹-سورة الحج، الآية: 36 .

أثر الكناية في استنباط الأحكام " أحكام ابن العربي نموذجاً "

قال ابن العربي: (يعني سقطت على جنوبها، يريد ميتة، كنى عن الموت بالسقوط على الجنب، كما كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله، والكنايات في أكثر المواضع أبلغ من التصريح)⁷⁰ .

قال ابن العربي: (يعني سقطت على جنوبها، يريد ميتة، كنى عن الموت بالسقوط على الجنب، كما كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله، والكنايات في أكثر المواضع أبلغ من التصريح)⁷¹ .

والْبُدْن: جمع بدنة بالتحريك، وهو اسم مأخوذ من البدانة، وهي عظم الجثة والسمن، سميت بذلك لعظم بدنها، ولأنها تبدين؛ أي تسمن، وهي البعير العظيم البدن، وقيل: لا تختص بالإبل، ووجوب الجنوب: وقوعها وسقوطها على الأرض، من وجب الحائط وجبة إذا سقط، ووجبت الشمس: غربت⁷² .

جاءت الكناية في الآية عن الموت أوزوال الروح بعد النحر، بقوله تعالى: {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا}، ومعلوم أن البدنة لا تُذبح وهي مضطجعة على الأرض كالبقرة والغنم، وإنما تُنحر وهي واقفة، فإذا ما نُحِرَتْ سقطت على الأرض.

قال البقاعي: (أي سقطت سقوطاً بردت به بزوال أرواحها فلا حركة لها أصلاً)⁷³ .

قال أبو السعود: (سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت)⁷⁴ .

تاسعاً- {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}⁷⁵ قال ابن العربي: (كنى بالنعجة عن المرأة، لما هي عليه من السكون والمعجزة وضعف الجانب، وقد يكنى عنها بالبقرة والحجر والناقة؛ لأن الكل مركوب)⁷⁶ .

⁷⁰- أحكام القرآن 293/3 .

⁷¹- أحكام القرآن 293/3 .

⁷²- ينظر: الباب 91/14، والكشاف 158/3، والتحرير والتنوير 223/17 .

⁷³- نظم الدرر 51/13 .

⁷⁴ - المرجع نفسه 107/6 .

⁷⁵- سورة ص، الآية 23 .

⁷⁶- أحكام القرآن 49/4 .

حاج اسباغو

الآية جاءت في سياق الحديث عن نبي الله داود عليه السلام، لما أرسل الله له ملكين في صورة متخاصمين، فكّى بالنعجة عن المرأة، وهذا كثير في كلام العرب، لأنه أبلغ عندهم من التصريح.

قال الإمام ابن عطية: (و" النعجة " في هذه الآية، عبر بها عن المرأة، والنعجة في كلام العرب تقع على أنثى بقر الوحش، وعلى أنثى الضأن، وتُعبّر العرب بها عن المرأة، وكذلك بالشاة، قال الأعشى: [الكامل]

فرميت غفلة عينه عن شاته*** فأصبت حبة قلبها وطحاليها

أراد عن امرأته، وفي قراءة ابن مسعود: « وتسعون نعجة أنثى » ⁷⁷ .

وقال أبو السعود: (هي الأنثى من الضأن وقد يُكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ في المقصود) ⁷⁸ .

من خلال هذه الوقفة مع نماذج من كتاب أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، يتجلى لنا أثر الكناية في استنباط الأحكام، وأن الإمام ابن العربي من القائلين بوقوع المجاز في القرآن الكريم، وإذا كان هذا النوع من البيان أبلغ عند العرب من الإفصاح ومن التصريح، فإن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وقد جرى العرب في بعض أساليبهم، وفاقهم بإعجازه وبهرهم ببيانه، وتحداهم مجتمعين .

المصادر والمراجع

1- الإبداع البياني في القرآن الكريم، محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1430 هـ -2009 م .

2- الإتيان في علوم القرآن، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974 م .

⁷⁷ -المحرر الوجيز 4/499-500 .

⁷⁸ -إرشاد العقل السليم 7/221 .

أثر الكناية في استنباط الأحكام " أحكام ابن العربي نموذجاً"

3- أحكام القرآن ، ابن العربي أبوبكر محمد بن عبد الله (ت 553 هـ) ، قدم له وعلق عليه محمد بكر إسماعيل ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، الطبعة الأولى ، 1422 هـ - 2002 م .

4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود ؛ محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982 هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د ط ، د ت .

5- أصول الشاشي، الشاشي أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق (ت : 344 هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، د ط ، د ت .

6- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت : 685 هـ)، تحقيق:

محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1 - 1418 هـ

7- البحر المحيط، أبوحيان أثير الدين علي بن محمد (ت: 745 هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، لبنان - بيروت-لبنان، 1420 هـ .

8- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: 794 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957 م.

9- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي (ت 1391 هـ) ، مكتبة الآداب ، الطبعة السابعة عشر: 1426 هـ-2005 م.

10- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور(ت : 1393 هـ) ، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.

11- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 671 هـ) ، تحقيق: سالم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط 1 ، 1420 هـ-2000 م .

حاج اسباغو

12-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، العلوي يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الملقّب بالمؤيد بالله (ت: 745هـ) ، المكتبة العصرية - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ : 61/3

13-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري ؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1407هـ.

14- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد (ت : 730 هـ)، دار الكتاب الإسلامي، دط، دت .

15- لسان العرب، ابن منظور؛ أبو الفضل محمد بن مكرم (ت 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط 3 ، 1414 هـ.

16-مفاتيح الغيب ، الرازي فخر الدين أبوعبد الله محمد بن عمر ، (ت: 606هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1420هـ

17-مقاييس اللغة، أبو الحسين؛ أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م

18-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الاثير أبو الفتح نصر الله بن محمد، (ت: 637هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، 1420 هـ .

19-معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م .

20- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن(ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422 هـ .

أثر الكناية في استنباط الأحكام " أحكام ابن العربي نموذجاً "

21- النكت والعيون، الماوردي أبو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ) ، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، د ط ، ود ت

.